

مقدمة

ليست الصورة الشعرية بدعا من البحث والتفرد في القول، بل هو بحث متداول، دأب عليه باحثون كثيرون، وتعدد وصف مصطلح الصورة بين الفنية والبلاغية والأدبية وكلُّ أسس له على ما تداوله القدامى والمحدثون، ثم خصَّه بشاعر في زمن معيّن، وبيّن ما عليه البناء الفني من جودة ورقي في فن القول. وعلى ذلك؛ فقد أنجز عدد كبير جدا من بحوث ماجستير وأطروحات دكتوراه في الصورة الشعرية على وجه التحديد، وطالت مدونات الشعر العربي من الجاهلية إلى اليوم.

وأما فيما يخص أمية بن عبد العزيز الداني -حسب ما انتهت إليه- فلم يؤلف فيه مفردا دون غيره من شعراء الأندلس أحدٌ غير محمد عبد الله الهوني في دراستين؛ تطرق في الأولى إلى أبي الصلت فيما سماه: (أمية بن أبي الصلت الأندلسي... عصره وحياته وشعره) في رسالة الماجستير، والتي طبعت سنة 1991، وفي الثانية حقّق الديوان لنيل رسالة الدكتوراه، وقد طبعت سنة 1990.

كما نثول أمية الداني بالدراسة الدكتور علي عالية في مقال له في مجلة المخبر بعنوان: (الفيلسوف الشاعر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي) في العدد الثالث 2006، والعدد الرابع 2008 وأنجز رسالة الدكتوراه في الشعراء الفلاسفة الأندلسيين وأميه منهم. وتناوله أيضا نزيه الشوفي في مقال موسوم ب: (أمية بن عبد العزيز الداني الأندلسي) في مجلة التراث العربي، سنة 1995، ومبارك لمين في مقاله: (التجربة العلمية لأبي الصلت الأندلسي بمصر من الإعجاب إلى العقاب) في مجلة الفسطاط التاريخية سنة 2009، والمقالتان الأخيرتان إلكترونيتان.

وقد اتكأ الكل إلى ما جاء في الخريدة للعماد الأصفهاني ترجمةً وشعرا، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والتكملة لابن الأبار، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والمغرب لابن سعيد، ونفح الطيب للمقري، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وهي المصنفات التي تمثل مصدرا من مصادر تراثنا الأصيلة، مما تعارف عليه النقاد، ولا ينبغي لبحث أن يخلو منها، وهي أيضا من مصادر هذا البحث.

ويقع تخصيص الصورة الشعرية عند أمية الداني من وجهين؛ أولهما التفريق بينه وبين أمية بن أبي الصلت المخضرم، والثاني صراع المحافظين والمحدثين وهو منهم - أي المحدثين- بحكم انتمائه إليهم زمنياً. فهل اعتنق مذهب المحدثين مخالفاً المحافظين؟ أم هو محافظ لم يحفل بصنيع المحدثين؟ أم هل مزج بين المذهبين اتباعاً للأصول ومجازة للأقران؟

وعلى مستوى الصورة الفنية؛ فإنه يتعين أن تكون بحسب ما يكون عليه الشاعر من حال، إما الاتباع وإما الابتداع وإما المزج بينهما، على حسب ما تكون عليه علاقاته بالمحدثين والمحافظين. وعلى مستوى آخر ما تكون منابع الصورة الشعرية ومرجعياتها عند الشاعر وقد كان موسوعي المعرفة؟ ثم ما وجه الجمال الذي يتعين مع الصورة الشعرية عنده؟

لذلك جاء عنوان البحث: الصورة الشعرية وجمالياتها في شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، مما تطلب البنية الآتية:

- مدخل وفيه ترجمة لحياة الشاعر ثم مفهوم الصورة الشعرية في الفكر النقدي القديم والمعاصر.

- الفصل الأول: الصورة في الأغراض الشعرية

وفيه حديث عن كل الأغراض الشعرية التي وردت في الديوان بحسب الورد والتردد والهيمنة (الكثرة). وقد كان الشاعر فيه مكثراً؛ فوصف وافتخر ومدح وتغزل، وهجا وذم ورثى واعتذر واشتكى واستنجد، ثم زهد وخلص إلى الحكمة والرسائل.

- الفصل الثاني: أنماط الصورة ومستويات التشكيل

وفيه تعيين لمقاييس التشكيل في الصورة الشعرية تجسيدا وتجسيما ومبالغة وإيجاء وإيماء، لتعين على ذلك مستويات التشكيل الفني؛ ففي المستوى الأول تعيين لطبيعة المحاكاة من صور المطابقة إلى صور التحسين إلى صور التقييح. وفي المستوى الثاني تحديد للصور الجزئية فالصور المركبة فالصور الكلية. وفي المستوى الثالث رصد للصورة في علاقتها بالحواس؛ فتعين الإدراك الحسي المباشر بحاسة يستخدمها استخدماً عينياً كالعين للرؤية والأذن للسمع، وتعين أيضاً الإدراك الحسي غير المباشر بما يدل على

الحاسة ويصرف إليها ولا يُدرك إلا بها. ومنه أيضا -أي التعيين- الإدراك الحسي المركب؛ إذ قد تجتمع أكثر من حاسة في التشكيل والتصوير وعلى النمطين السابقين معا.

ينتج عن هذا الفعل تحديد للصورة الحسية في أنماطها البصرية والسمعية والذوقية واللمسية والشمية بعد تحديد طبيعة التصوير الفني وتشكله تجزئةً وتركيباً؛ ليكون الفصلان الأول والثاني جمعا وتصنيفا وترتبا للصورة وأنماطها حسب ورودها في الديوان، في حين سيخصص الفصلان الثالث والرابع للترتيب والتفاعل والتخييل.

- الفصل الثالث: الصورة الذهنية وجماليات التخييل

وفيه تحديد لنمط الصورة الآخر والمدرج في الإدراك الذهني، مما يتطلب إحصاءً للصور الذهنية في الديوان، وتعليقا عليها على أساس انتفاء التصوير باستخدام الحواس، ثم الميل إلى التصوير المجازي من خلال الاستعارة والتشبيه، تشخيصا حسيا وتشخيصا معنويا، لقيام المشابهة على تشبيه الحسي بالحسي والمعنوي بالحسي في مستوى أول، وتشبيه المعنوي بالمعنوي والحسي بالمعنوي في مستوى آخر، ليتسنى الحديث عن الصورة بين الغموض والإبهام كما هو الحال عند المحدثين.

- الفصل الرابع: الصورة الشعرية وجماليات التفاعل النصي

في هذا الفصل تحديد لمرجعيات الصورة الشعرية ومنابعها عند أمية الداني، والتوقع أن يكون ذلك مرتبطا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال، والحوادث والشخصيات التاريخية، والطب وعلم الفلك، وذلك بناءً على ما تعين في ترجمته؛ فهو الشاعر والفلكي والطبيب والفيلسوف والمهندس، ولا بد أن يكون لكل ذلك حضور في شعره، خاصة وأن الزمن يسمح بذلك ويجيزه. وينتهي الفصل بحديث الموافقة والمخالفة لبناء القصيدة والنص الشعري.

- خاتمة جُمعت فيها مجمل نتائج البحث الكلية.

هذا العمل وبهذا الشكل تطلب أن يكون المنهج نقدا تاريخيا وصفيا في الشق الأول من البحث (الفصلان الأول والثاني)، ثم فنيا جماليا في الشق الثاني منه (الفصلان الثالث والرابع).

وقد كان يشغلني رغم تقدمي في البحث أنه لم يتيسر لي الحصول على الديوان ورقيا، وقد كنت أعمل على نسخة إلكترونية أقابلها على الخريدة للعماد الأصفهاني، ورغم ما عانيت من تلك المقابلة إلا أنني توصلت إلى ربط هذا بذلك، وجرى العمل على هذا المنوال إلى حصلت على الديوان محققا في طبعة تشير إلى سنة 1990، مما جعلني أراجع كل ما كتبت، والتأكد من توثيقه، وقد كان والله الحمد. وهو الأمر الذي جعل كلامي أمام الأستاذ المشرف مضطربا إلى حد كبير؛ فبعد أن أبلغته بانتهاء العمل، طال عهد إخراج، وهو الزمن الذي استغرقه التوثيق، والتأكد من صحة الوارد في النسخة الإلكترونية مقارنة بما في الخريدة والديوان معا. والحق أن ظهور الديوان وحصولي عليه في مكتبة بشارع الحلبوني بدمشق وبإيعاز من بعض من رافقني، جعلني أستغني عن النسخة الإلكترونية تماما لما فيها من أخطاء طباعية اكتشفتها من الخريدة، وأيدها تحقيق محقق الديوان-عبد الله محمد الهوني- رحمه الله.

وأخيرا فشكري موصول إلى الأستاذ المشرف الذي صبر عليّ وعلى عملي البطيء، حتى أني أحسست بالثقل بدلا عنه، وقد أخذت الزمن الكافي للإنجاز من دون أن يبدو لي منه ضير ولا قلق، فتركت كل شيء لأجل استكمال هذا البحث، وعرضه عليه بعد إعادة التوثيق والمراجعة، وليس من شيء أرجوه أكثر من أن يرفع عني ملامة الاضطراب التي أشرت إليها.